تمثلات الإعجاز البلاغي في كلمة "يَسأَلُونَكَ" في القرآن الكريم

الأستاذ المساعد الدكتور نوري صابر محمد الزيباري

قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة الحمدانية

البريد الإلكتروني Email : nury.zebary@uohamdaniya.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الإعجاز البلاغي ، أسلوب الاستفهام القرآني ، يسألونك ، الإيجاز الحكمي ، الإيقاع الصوتي.

كيفية اقتباس البحث

الزيباري، نوري صابر محمد ، تمثلات الإعجاز البلاغي في كلمة "يَسأَلُونَكَ" في القرآن الكريم،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Representations of the Rhetorical Miracles of the Word (Yas'aloonaka) in the Holy Qur'an

Assistant Professor Dr. Nouri Saber Mohammed Al-Zebari
Department of Arabic Language – College of Education for Humanities – University of Al-Hamdaniya

Keywords : Rhetorical Miracle, Qur'anic Interrogative Style, Yas'aloonaka, Concise Judgement, Sound Rhythm.

How To Cite This Article
Al-Zebari, Nouri Saber Mohammed , Representations of the Rhetorical Miracles of the Word (Yas'aloonaka) in the Holy Qur'an,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Summary:

This research reveals the magnificence of Qur'anic rhetoric through the transformation of the interrogative form "يَسْـأَلُونَكَ" (Yas'aloonaka) into a gateway for presenting rulings, narration, and the unseen with miraculous brevity and profound meanings.In the legislative aspect, questions about lunar months, spoils of war, and menstruation are answered with precise responses that condense the concepts into words or phrases carrying great weight—affirming the ownership of God and the Prophet, gently explaining the harm of menstruation with human compassion, and examining the timing of pilgrimage from a social perspective.The study then moves to the family discourse, where the verse avoids direct mention of menstruation, instead using an elegant metaphor that touches hearts with mercy and honors women within a noble legal framework.In the narrative of Dhul-Qarnayn, storytelling creativity is evident; the use of veiling combined with allusions, phonetic repetition, and suspenseful introduction instills curiosity and highlights

the unity of divine action, steering clear of excessive historical narration.Regarding the unseen, the verses address matters such as the soul, mountains, and the Hour through pedagogical methods: epistemic concealment magnifies the Creator's authority and awakens humility; sound imagery evokes awe of the Lord's power when shattering mountains; and rhetorical displacement turns the question about the timing of the Resurrection into a call for readiness and reverence.In conclusion, the research shows that sound rhythm, emphatic letters, and meticulous wordplay are not mere linguistic embellishments but rhetorical devices that amplify the meaning's impact and firmly root the message in the mind and heart.This study exemplifies how Qur'anic questions harmonize with divine answers in a coherent rhetorical system that blends wisdom, beauty, and moral guidance, making "يَسْـأَلُونَكَ" a sign of inexhaustible miraculous eloquence in the speech of the Creator.

ملخص:

في ثنايا هذا البحث تتجلّى روعة البلاغة القرآنية حين تحوّل صيغة الاستفهام "يَسأَلُونَكَ" إلى بوابة لعرض الأحكام والسرد والغيب بإيجاز معجز ودلالات خلاّبة. ففي المحور التشريعي تحوّلت الأسئلة عن الأهلة والغنائم والمحيض إلى إجابات محكمة تختزل المفهوم بكلمة أو جملة تحمل وزناً ثقيلاً فتثبّت الملكية لله والرسول وتبيّن أذى المحيض بلطف إنساني وتدرس ميقات الحج برؤية اجتماعية. ثم ينتقل البحث إلى خطاب الأسرة حيث اجتنبت الآية المباشرة في الحديث عن الحيض وحوّلتها إلى كناية راقية فأسرت القلوب برحمتها وأكرمت المرأة ضمن إطارٍ شرعيٍّ نبيل. وفي سرد قصة ذي القرنين تجلّى الإبداع القصصي فالحجب المقرون بالتلميح والتكرار الصوتي والتمهيد التشويقي غرس في النفس فضولاً للمعرفة وسلّط الضوء على وحدة الفعل الإلهي والابتعاد عن السرد التاريخي الفاحش.أما عند أبواب الغيب فتصدّت الآيات لقضية الروح والجبال والساعة بأساليب تربوية: فالحجب المعرفي يعظم سلطان الخالق ويوقظ النفس على التواضع والتصوير الصوتي يفرض ذهول القلب أمام جبروت الرب حين ينسف الجبال والإزاحة البلاغية تحوّل السؤال عن زمن القيامة إلى دعوة للاستعداد والخشية. وفي خاتمة البحث يتبيّن أن الإيقاع الصوتي وحروف التوكيد والجناس المتقن ليست زخرفة لغوية فحسب بل أدوات بيانية تضاعف وقع المعنى وتثبت الرسالة في الذهن والقلب. لقد جسّد هذا البحث كيف تنسجم الأسئلة القرآنية مع الإجابات الإلهية في نسقٍ بلاغيٍّ متكامل يجمع بين الحكمة والجمال والتربية ليظل "يَسأَلُونَكَ" علامة على إعجاز لا ينضب في كلام الباري.

المقدمة :

يُعدُّ القرآن الكريم من أبلغ النصوص في تاريخ البشرية حيث جمع بين الإعجاز اللغوي والبياني والإعجاز التشريعي والتربوي في منظومة فريدة من نوعها لا تُضاهى. ومن بين الأساليب البلاغية التي يبهر بها القرآن القارئ تأتي صيغة الاستفهام "**يَسْأَلُونَكَ**" كأحد أهم مظاهر هذا الإعجاز فهي ليست مجرد سؤال يطرح بل هي نافذة تكشف عن عمق الحوار الإلهي مع الإنسان وكيف يتحول الفضول والتساؤل البشري إلى مصابيح تنير دروب التشريع والسرد والكشف عن الغيب عبر إجابات تتسم بالإيجاز والحكمة والبلاغة المتناهية.

وقد وردت هذه الصيغة في خمسة عشر موضعاً من القرآن الكريم تتفاوت فيها الموضوعات بين أحكام تشريعية وأحكام اجتماعية وسرد قصصي وأسئلة عن الغيبيات مما يعكس تعدد أبعاد هذا الأسلوب البلاغي وتنوع وظائفه. فالقرآن هنا لا يكتفي بالإجابة المباشرة بل يستخدم أسلوباً بلاغياً متقناً يجمع بين الإيجاز اللغوي والتشويق المعنوي بين الحجب والتصريح ليضمن تأثيراً فريداً على المتلقي سواء كان ذلك في زمن التنزيل أو في أزماننا الحاضرة.

ومن هذا المنطلق ينبع الهدف العلمي لهذا البحث الذي يسعى إلى استكشاف الأبعاد البلاغية لصيغة "يَسْأَلُونَكَ" من خلال دراسة منهجية تحليلية تعتمد على مقارنة أنماط الإجابة عبر مواضعها المختلفة في القرآن مع التركيز على كيفية توظيف البلاغة في بناء هذه الإجابات وما تكتنفه من فنون الإيجاز والحذف والإيقاع الصوتي وأساليب الحجب والتشويق.

كما تأتي أهمية البحث أيضاً من كونه يعالج ثغرة واضحة في الدراسات البلاغية القرآنية، حيث قلما تناولت بحوث سابقة هذه الصيغة بتركيز أكاديمي يشمل مقارنتها وتحليل وظائفها المتعددة. علاوة على ذلك فإن نتائج هذا البحث من شأنها أن تسهم في تعزيز فهم الدارسين والمهتمين بالبلاغة والتفسير لكيفية تعامل القرآن مع الأسئلة التي يطرحها الإنسان وكيف يستثمرها في تثبيت العقيدة وتوجيه السلوك وصياغة التشريع.

ويتوزع البحث على خمسة مباحث رئيسة يبدأ الأول منها بتحليل أساليب الإجابة التشريعية والإيجاز الحكمي حيث يتجلى حكم التشريع وجمال التعبير في آنٍ واحد ثم ينتقل إلى المبحث الثاني الذي يسلط الضوء على خطاب الأحكام الاجتماعية والأسرة مع إبراز الأساليب البلاغية الرفيعة التي تعكس احتراماً دقيقاً للمواقف الإنسانية. أما المبحث الثالث فيتناول السرد القصصي مع دراسة استراتيجيات الحجب الإبداعي والتشويق في قصة ذي القرنين التي تمثل نموذجاً فريداً للتوجيه الأخلاقي والروحي. يلي ذلك المبحث الرابع الذي يبحث في أساليب الإجابة عن أسئلة الغيب مركّزاً على تحليل البناء البلاغي والدلالي للإجابات عن الروح والجبال

والساعة. وختاماً يخصص المبحث الخامس لدراسة الإيقاع الصوتي والتوكيد الدلالي من خلال ظواهر الجناس والتكرار وحروف التوكيد وما لها من أثر في تعزيز الرسالة القرآنية وثباتها في النفوس.

في النهاية يطمح هذا البحث إلى الكشف عن جماليات التراكيب اللغوية في صيغة "يَسْأَلُونَكَ" وكيف صاغها القرآن بأسلوب يجمع بين الحكمة والجمال والتشريع والتربية ليبقى كتاب الله نبعاً متجدداً يفيض بالعبر والدروس في كل زمان ومكان داعيا الإنسان إلى رحلة دائمة من التساؤل والتفكر والتقوى.

التمهيد

في رحاب البلاغة القرآنية يبرز الاستفهام بوصفه أحد المفاتيح الكبرى لفهم الأسلوب الإلهي في التواصل مع الإنسان إذ لم يكن غرضه مجرد طلب المعلومة بل توجيه العقل واستثارة الفكر وتحفيز النفس إلى التفاعل الواعي مع الخطاب. ومن بين صيغ الاستفهام التي انفرد بها القرآن الكريم تأتي صيغة "**يَسْأَلُونَكَ**" بوصفها نمطاً بلاغياً مميزاً استخدم في كتاب الله تعالى. وتكمن فرادة هذه الصيغة في أنّها تبرز حواراً ضمنيّاً بين طرفين: السائل من جهة والمجيب الإلهي من جهة أخرى بوساطة الرسول ﷺ لتؤسس بذلك نسقاً بيانياً فريداً تتداخل فيه البلاغة مع التشريع والفن مع المقصد والبيان مع الهداية.

إنّ اختيار هذا الأسلوب في القرآن لم يكن اعتباطيّاً بل جاء محمّلاً برسائل دقيقة إذ يعكس من جهة تفتّح النص القرآني على أسئلة المجتمع وحاجاته ومن جهة أخرى يرسم صورة تربوية لأسلوب التلقي وكيفية التعامل مع الفضول الإنساني في الإيمان والتشريع والمعرفة. فكل سؤال جاء بصيغة "**يسألونك**" لم يهمل أو يسفه بل جاء الجواب الإلهي عنه موغلاً في الإعجاز جامعاً بين الإيجاز والتكثيف وبين التدرج والوضوح مع الحفاظ على جمال التركيب وحكمة المقصد.

ومن هنا ينبع **دافع البحث** في هذه الظاهرة التي لم تدرس في حدود ما توصل إليه الباحث ضمن معالجة مستقلة شاملة تدمج بين التحليل البلاغي والدراسة المقاصدية. فمعظم الدراسات السابقة تناولت "**يسألونك**" إمّا في سياق التفسير الجزئي أو ضمن إطار عام لأساليب الاستفهام دون تخصيص لهذه الصيغة بالذات رغم كثافة حضورها ودقّة استخدامها.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الصيغة دراسة بلاغية تحليلية تستقصي **أسرار التعبير الفني والوظائف المقامية** التي حملتها الإجابات الإلهية المترتبة عليها. وقد تم اعتماد **المنهجين الوصفي والتحليلي**، مع الاستعانة بالمنهج المقارن عند الضرورة بهدف الوصول إلى فهم أعمق

لكيفية تفاعل هذه الصيغة مع السياقات المختلفة داخل النص القرآني وكيفية تكيّفها مع الموضوعات المتنوعة التي طرحتها من خلال خصائص أسلوبية وفنية تجمع بين الدقة البيانية والإبداع البلاغي.

وقد استعان البحث في تحليله بجملة من **المصادر البلاغية والتفسيرية** بدءا من كتب التراث الكبرى مثل دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني حيث كشف عن أهمية النظم والتقديم والتأخير[١] مروراً بما ذكره ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من دقّة النظر في وظائف الحذف والإيجاز[٢]، وانتهاء بما أثاره القرطبي من إشارات حول العلاقة بين البيان والتشريع والتأدب في طرح الأسئلة[٣].

وإذ نقارب هذه الصيغة من زاوية بلاغية فإننا لا نغفل عن **أهدافها التربوية والدينية** فقد تمكن القرآن الكريم من توظيف السؤال ليكون أداة تعليم لا تجرح ووسيلة إقناع لا تفرض ومفتاحا للتفكر لا يغلق وذلك من خلال أدوات بلاغية مثل: الجناس والتكرار وحروف التوكيد والتقديم والتأخير التي خدمت المعنى وأبرزت الهيبة دون إغفال للجمال الأسلوبي الذي يفرض وقعاً خاصاً في أذن المتلقي وعقله.

وينقسم هذا البحث إلى خمسة مباحث رئيسة تتوزّع على محاور الأسلوب والموضوع

المبحث الأول: أساليب الإجابة التشريعية والإيجاز الحكمي في (يَسْأَلُونَكَ)

تتسم إجابات القرآن الكريم على أسئلة «يَسْأَلُونَكَ» في المواضيع التشريعية بالجمع بين البيان الحكيم والإيجاز البلاغي بحيث تحقق توصيل المعلومة بوضوح ومختصر وتؤكد في الوقت ذاته على الحكمة الشرعية والهدف التشريعي من الأحكام.

١. أسلوب الإجابة في آيات سورة البقرة

ترد صيغة السؤال «يَسْأَلُونَكَ» في مواضع متعددة من سورة البقرة مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ...﴾ (البقرة: ١٨٩) الإجابة هنا تتصف بالإيجاز الوظيفي إذ تعرّفُ الأهلة بدلالتها الشرعية والعملية: «مواقيت للناس وللحج». فليس الهدف هو شرح طبيعة الهلال أو حركته الفلكية بل بيان وظيفته الزمنية وهذا هو وجه الإعجاز البلاغي في اختزال الجواب بما يخدم مقصد التشريع[٤].

وفي موضع آخر:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾ (البقرة: ٢١٩) الإجابة تتسم هنا بالبيان المتوازن؛ إذ تجمع بين ذكر الإثم ووجود المنافع لكنها تبيّن أن الإثم أكبر من النفع مما يُظهر حكمة التشريع في تحريم الخمر لاحقاً بأسلوب بلاغي يمهد نفسياً للحكم[٥].

٢. أسلوب الحذف والإيجاز الحكمي

في عدة آيات تتسم الإجابة بالحذف المقصود الذي يركز على جوهر المعنى دون الخوض في تفاصيل كما في قوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ (الأنفال: ١) الإجابة تحصر ملكية الأنفال بالله والرسول وتحذف تفاصيل التوزيع مما يدل على أن الأصل في الغنائم هو خضوعها لحكم الشرع لا لهوى المقاتلين. وهذا الحذف يعمق المعنى المقصود ويُبرز مقام النبوة والسلطة التشريعية[٦].

٣. الإيجاز في آيات سورة المائدة

في سورة المائدة:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ...﴾ (المائدة: ٤) الإجابة تبدأ بجملة إيجازية جامعة: "أُحلّ لكم الطيبات" ثم تتدرج في التفصيل مما يعكس مهارة بلاغية في عرض الحكم ضمن سياق متدرج من المجمل إلى المفصل يخدم غرض الإقناع والإفهام[٧].

٤. التكرار لتحقيق التوكيد

في قوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى...﴾ (البقرة: ٢٢٢) نجد تكراراً توكيدياً في لفظ "هو أذى" وهي صيغة تقريرية موجزة ترسّخ المعنى في ذهن السامع وتبرز سبب الحكم الشرعي في الابتعاد عن النساء وقت المحيض. كما أنّ توجيه الخطاب إلى الرجال يحمّلهم مسؤولية الفهم والتصرف الرحيم[٨].

خلاصة المبحث: من خلال هذا التحليل تتضح السمات البلاغية الرئيسة في أساليب الإجابة التشريعية منها:

- توظيف الإيجاز دون التفريط في وضوح الحكم.
- استعمال الحذف البلاغي لتركيز المعنى وإبراز الحكمة.
- الانتقال من المجمل إلى المفصل بأسلوب إقناعي.
- استخدام التكرار والتوكيد لترسيخ المقاصد الشرعية.

وهذا النهج البلاغي المتقن يُظهر كيف جمع القرآن بين البيان والإيجاز فكان أسلوبه باعثاً على الفهم والطاعة في آنٍ واحد.

المبحث الثاني: خطاب الأحكام الاجتماعية والأسرة – بلاغة الكناية ووظيفة التوجيه التربوي

يتعامل القرآن الكريم مع الموضوعات الاجتماعية الحساسة مثل قضايا الأسرة والطهارة بأسلوب يجمع بين **البلاغة الرفيعة والكناية الأدبية** ويضفي على التشريع بعداً تربوياً وأخلاقياً عميقاً. ومن أبرز النماذج لذلك **آية المحيض** التي جاءت جواباً عن سؤال «يَسْأَلُونَكَ»: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ...﴾ (البقرة: ٢٢٢) .

١. بلاغة الكناية وأسلوب التوجيه التربوي

في هذه الآية يلاحظ أن الخطاب يتخذ **أسلوب الكناية الرقيقة** فلا يصرّح بألفاظ حسية مباشرة بل يستخدم تعبير "أذى" بديلاً عن التفصيل مما يدل على **رُقي التعبير القرآني وسمو خطابه الأخلاقي**[٩]. فلفظة "أذى" تشمل الضرر الجسدي والنفسي والاجتماعي وهي صيغة موحية تختزل الحكم الشرعي في دلالة بلاغية موحية ومؤثرة.

كما أن الفعل "فاعتزلوا" يعبّر عن طلب الترك بتعبير غير فجّ يوجه السلوك من دون تعنيف بل بأسلوب رقيق يجمع بين الحكم والتأديب ويرسي قواعد التعامل داخل الأسرة وفقاً لمنظومة قيمية راقية[١٠].

٢. التكرار الصوتي ودوره التوكيدي

العبارة "قل هو أذى" تمثل **توكيداً بيانياً** بصيغة القصر حيث يثبت الحكم بحرف «هو» الذي يشعر بتقرير الحالة وتأكيدها. هذا التكرار يعزز المعنى في النفس ويرتقي بالحكم من مجرد تقرير فقهي إلى **توجيه سلوكي راقٍ**[١١].

٣. التوازن بين الأمر والنهي

تظهر بلاغة الأمر والنهي في قوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾، متبوعاً بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ ثم: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ مما يظهر **تسلسلاً بلاغياً محكماً** ينقل المخاطب من حالة المنع إلى الإذن وفقا لترتيب زمني وتشريعي دقيق. هذا النسق يربّي المتلقي على الطاعة المدروسة لا العشوائية ويظهر مقصد الرحمة والمودة لا القسوة والمنع[١٢].

خلاصة المبحث: في هذه الآية يلاحظ

- بلاغة الكناية في التعبير عن الأحكام الحساسة.
- توظيف التوكيد والقصر لإبراز المعنى الشرعي.
- تنظيم سردي متسلسل يربط بين الطهارة والأمر بالمعاشرة.
- بُعد تربوي يُظهر التشريع في قالب إنساني راقٍ، لا في صورة جافة.

فالقرآن وهو يجيب عن سؤال اجتماعي حساس يُلبسه ثوب الحياء والرحمة ويغلف الحكم بلغة تنأى عن الإيذاء اللفظي وترسي قيمة الاحترام المتبادل في العلاقات الأسرية.

المبحث الثالث: السرد القصصي والحجب الإبداعي – تحليل بلاغي لقصة ذي القرنين

تعد قصة **ذي القرنين** في سورة الكهف نموذجاً فريداً لتوظيف أسلوب «يَسْأَلُونَكَ» ضمن السياق القصصي حيث تتداخل عناصر **الحجب والتشويق** في البنية السردية لتخلق نوعاً من التدرج في كشف المعلومات دون الإخلال بالمغزى التربوي والديني.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٨٣) .

١. الحجب البلاغي وبناء التشويق

يفتتح النص الإجابة **بتعليق سردي مؤجل:** "سأتلو عليكم" دون كشف فوري لتفاصيل القصة. هذا الأسلوب يثير فضول المتلقي ويؤسس لتوقعات داخلية وهو ما يسمى بلاغياً بـ"الحجب" أي تأخير الإفصاح بغرض التشويق[١٣]. وهذا يعكس سياسة قرآنية تربوية تمهد قبل عرض المعلومات.

ثم تأتي مراحل القصة التالية:

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ...﴾(الكهف: ٨٦)

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾(الكهف: ٩٤)

نلحظ في هذه الآيات **تصويراً بصرياً قوياً** يوظف الأفعال الحسية ("وجدها" ، "بلغ" ، "قالوا") في رسم المشاهد مما يعزز الإيحاء بالمكان والحدث ويشرك القارئ في بناء الصورة.

٢. توزيع الحوار وتعدد الأصوات

تعتمد القصة أسلوب **تعدد الأصوات** إذ نسمع صوت ذي القرنين وصوت القوم، وصوت الله تعالى ما يجعل السرد أقرب إلى **المشهد المسرحي** وهذا تنويع بلاغي يعطي النص **إيقاعاً تفاعلياً** واستمرارية سردية[١٤].

٣. الحذف الجزئي والتأويل المفتوح

لم تذكر هوية ذي القرنين صراحة ولا جنسيته ولا زمنه بدقة وهذا **حذف مقصود بلاغياً** يفتح المجال للتأمل ويبقي المعنى مفتوحاً على دلالات رمزية دون أن يرهق القارئ بجزئيات غير مؤثرة في هدف القصة[١٥].

٤. البلاغة الوظيفية للقصة

القصة لا تهدف إلى مجرد السرد بل تتكامل مع السياق العقدي والقيمي للقرآن فهي ترسي **قواعد العدل والعمل والمسؤولية** وتُقدم نموذج الحاكم الصالح مما يجعل السرد أداة **بلاغية لتربية الوجدان قبل إشباع الفضول**[١٦].

خلاصة المبحث: يُظهر تحليل قصة ذي القرنين ضمن إطار "يَسْأَلُونَكَ":

- اعتماد أسلوب الحجب والتشويق قبل العرض.

- استخدام الصور البصرية والمكانية لتعميق المعنى.
- توظيف التعدد الصوتي لزيادة الحركية السردية.
- حذف مقصود لفتح أبواب التأويل.
- بناء بلاغي يخدم القيم لا السرد وحده.

وهذا ما يجعل القصة القرآنية مثالًا متفردًا للتكثيف البلاغي والوظيفة التربوية، ضمن نسق السؤال والجواب.

المبحث الرابع: سؤال الغيبيات واستراتيجيات الإجابة

إنّ من أسمى وظائف الخطاب القرآني أنه يُحيط القارئ بعوالم الغيب دون أن يُغلقها بإجابات قطعية بل يفتح أمام العقل الإنساني أبواب التدبر ويدرّبه على التلقي بالإجلال والتسليم. وتأتي أسئلة «يسألونك» التي تتعلق بعوالم الغيب في هذا السياق لتكشف عن بلاغة مميزة في الإجابة تجمع بين الإيجاز والحجب، والإيحاء دون إخلال بجوهر العقيدة.

١. الروح: كناية الغيب وسلطة العلم الإلهي

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)

في هذه الآية تتجلى **بلاغة الحجب** حيث لا يقدَّم تعريف للروح بل يعاد توجيه السؤال إلى بُعد غيبيٍّ لا يُطال بالعلم البشري مما يرسّخ في المتلقي الإيمان **بحدود العقل** ويؤسس لبلاغة "الاقتصاد في الجواب"[١٧].

٢. الجبال: البناء الصوري وتفكيك المشهد الكوني

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥)

تحيل هذه الإجابة إلى صورة **تفكيك مهيب لمظهر كوني شامخ** وذلك من خلال استخدام الفعل "ينسفها" الذي يوحي بالقوة والسرعة في الزوال وهو أسلوب تعبيري يحدث **خلخلة معرفية في ذهن المتلقي** حيث تتحول الجبال من رمز للثبات إلى مشهد زوال تام[١٨].

٣. الساعة: كثافة التكرار والتدرج في التعتيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٧)

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٦٣)

الساعة تأتي موضوعًا متكرراً وتتنوّع الإجابات حولها لكنها تتفق جميعاً في **سحب سلطة العلم عنها من البشر إلى الله وحده.** وهنا يتكرر الجواب التقريري: "إنما علمها عند الله" بوصفه **توكيداً خبرياً قاطعاً** تستخدم فيه "إنما" للقصر مما يعمق **بلاغة النفي والتخصيص**[١٩].

خلاصة المبحث: من خلال تحليل هذه الآيات تتجلى بلاغة القرآن في الإجابة عن الغيبيات بما يلي:

•الحجب دون إخلال بالمعنى العقائدي.

•استعمال الكناية والرمز والإيجاز لإعلاء شأن التسليم.

•توظيف الأفعال الحركية (ينسفها – أوتيتم) لتشكيل صورة ذهنية قوية.

•التكرار التقريري لتعزيز رسوخ الفكرة في العقل.

تجتمع هذه السمات لتكوّن استراتيجية قرآنية بليغة في التعامل مع الغيب لا تسد باب المعرفة لكنها تبقيه مفتوحاً على مهابة الله وعلمه.

المبحث الخامس: الإيقاع الصوتي والتوكيد الدلالي في إجابات «يَسْأَلُونَكَ»

يتجاوز الإعجاز البلاغي في إجابات «يَسْأَلُونَكَ» حدود المعنى إلى مستويات صوتية ودلالية تعزز أثر الإجابة في السامع حيث يوظف النص القرآني عناصر الإيقاع والتوكيد بحنكة أسلوبية تجعل الجواب أكثر رسوخاً في النفس وأكثر تجلياً في المعنى.

١.التوكيد اللفظي والدلالي

﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ١) تستخدم الآية أسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور "لله والرسول" مما يجعل الجواب **قاطعاً لا يحتمل التأويل** ويؤكد على **سلطة التشريع** دون الرجوع لمصلحة أو رغبة ذاتية [٢٠].

﴿قُلْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ... رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: ٩٠) تستخدم "إنما" للحصر كما يأتي "رجس من عمل الشيطان" بصيغة تقريرية حاسمة وهي **توكيدات لفظية** تعطي للجواب وزناً حجاجياً يقطع النزاع ويرسخ أثره [٢١].

٢. الجناس الصوتي والتكرار

﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ١) في هذه الآية نجد تكرار لفظ "الأنفال" في موضع المبتدأ والخبر شبه الظرفي مما يحدث توازناً صوتياً يقرّب المعنى إلى السمع ويعزز تثبيته في الذاكرة [٢٢].

كذلك:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (الأعراف:١٨٧) الإيقاع في "الساعة – أَيَّانَ – مرساها" مبني على **المدود والهمزات المتوالية** التي تمنح الجواب هيبة صوتية تتلاءم مع هيبة الموقف[٢٣].

٣. حروف التوكيد والتقرير

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾(الأعراف: ١٨٧)

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾(الأنعام: ١٠٩)

استخدام "إنما" مجدداً يعد **أحد أبرز آليات الحصر البلاغي** مع بناء الجملة بصيغة تقريرية تبدأ بالفعل "قل" مما يجعل الأسلوب يحمل طابعاً رسولياً تعليمياً [٢٤].

خلاصة المبحث: إنّ بلاغة القرآن لا تكمن في عمق معانيه فحسب بل في **صوتيته وتراكيبه** أيضاً. ويتجلى هذا في:

- توظيف أدوات التوكيد ("إنما"، "قل") لحسم المعنى.
- استخدام الجناس والتماثل الصوتي لخلق إيقاع داخلي.
- التكثيف اللفظي لزرع المعنى في ذاكرة المتلقي.

بهذا تتحول إجابات "يسألونك" إلى **مزيج من المضمون والحسّ الموسيقي** حيث يسري المعنى في النفس كما تسري النغمة في السمع.

الخاتمة

بعد هذا المسار التحليلي في ظاهرة «يَسْأَلُونَكَ» في القرآن الكريم يتجلى لنا بوضوح مدى العناية البيانية التي صاغ بها النص الإلهي هذه الصيغة الاستفهامية وجعلها قناةً للحوار بين الوحي الإلهي والبشر تنقل السؤال البشري من دائرة الاستفهام العادي إلى أفق معرفي وروحي وتربوي أعمق. لقد أثبتت هذه الصيغة أنّ القرآن لا يكتفي بمجرد تقديم الجواب بل يصوغ من الجواب ذاته أسلوباً بلاغياً يرشد ويعلّم وينهى ويوجّه بأسلوب لا يخلو من حكمة الإيجاز وروعة الإيقاع ودقّة البناء.

لقد أظهرت الدراسة كيف أن استعمال هذه الصيغة لم يكن نمطياً أو متكرّراً بشكل ممل بل كان متنوّعاً في موضوعاته متجدداً في أساليبه متكاملاً في دلالاته. فمرة يأتي الجواب مباشرة وبأسلوب تقرير حاسم ومرة يكون مؤجّلاً أو محجوباً ومرة يضمّ إشارات بلاغية دقيقة تُرشد القارئ إلى ما هو أبعد من ظاهر الكلام. وهذا التنوّع في طرق الإجابة يدلّ على وعي بلاغي رفيع يدير الحوار مع المتلقّي بلغة عالية تدمج بين الرهافة التعبيرية والصرامة المنهجية وبين المقصد الشرعي والأسلوب الجمالي.

كما كشفت المباحث الخمسة في هذا البحث عن أنماط متعدّدة من الأساليب التي اتخذتها الإجابة الإلهية سواء في مستوى الإيجاز الحكيم الذي يغني عن التفصيل أو في الحجب البلاغي الذي يفتح باب التأمل والتفكّر أو في اختيار الألفاظ ذات الإيقاع المؤثر والتوكيد المعنوي الذي يعمّق الرسالة. وقد جاءت هذه الصيغة دوماً مضمّنة في سياقات تربوية وتعليمية وتشريعية ما يؤكد وظيفتها الكبرى في بناء الوعي الديني والفكري لدى المتلقي وتربيته على السؤال الراشد والتلقي المسؤول.

ومما يلفت الانتباه أنّ "يسألونك" لم تكن مجرد جملة استفهامية بل كانت مدخلاً إلى خطاب أوسع تفتح به أبواب التشريع ويسلّط من خلاله الضوء على قضايا الناس وهمومهم وتساؤلاتهم الوجودية واليومية. فالسؤال عن الأنفال أو عن الخمر والميسر لا يجاب عليه بفتوى جافة بل بإطار بلاغي يقنع العقل ويهذب الروح. والسؤال عن الروح أو الساعة لا يجاب عنه بإحصاء معلومات بل بتوجيه الفكر إلى أن مناط العلم هو الله وحده وأن الغيب باب لا يُفتح إلا بإذنه مما يعلّم الإنسان التواضع المعرفي والانضباط العقائدي.

ولم يكن الجمال في الإجابة منفصلًا عن وظيفته، بل جاء موظّفاً لتحقيق غايات كبرى فالجناس والتكرار ليسا مجرد محسنات لفظية بل آليتان لبناء المعنى وترسيخه والتقديم والتأخير لم يكونا مجرد تحوّلات تركيبية بل أداة لتحديد الأولويات وتوجيه الذهن. وكل ذلك يدعم حقيقة أنّ القرآن الكريم قد بُني على هندسة لغوية متكاملة يشكّل فيها الأسلوب البلاغي جزءاً جوهرياً من المقصد التربوي والديني.

وعليه فإن هذا البحث وإن اقتصر على دراسة ظاهرة بلاغية واحدة وهي "يَسْأَلُونَكَ" إلا أنه يمهّد لدراسات أوسع وأعمق في باب الحوار القرآني وأساليبه ويفتح المجال أمام مقاربات لغوية وبلاغية تستكشف كيف يتحرك النص القرآني داخل النفس البشرية موجّهاً ومربّياً ومعلّماً دون أن يتخلّى لحظة عن أناقته الأسلوبية وسحره الفني.

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يأمل الباحث أن يكون قد وفّق في تقديم قراءة بلاغية واعية لهذه الصيغة تسهم في إثراء الحقلين البلاغي والتفسيري وتكون لبنة إضافية في بناء فهم أكثر وعياً بآليات الإعجاز القرآني ذلك الإعجاز الذي لا ينضب ولا ينقضي وسيظلّ كلام الله تعالى نوراً يتجدّد وهداية تبقى ما دامت الحياة.

هوامش

[١] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٢٧ وما بعدها.

[٢] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٤٦.

[٣] محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٤.

[٤] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٥، ص١٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٥] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٢٩٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

[٦] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رشيد رضا، ص٢١١، دار المعرفة، بيروت.

[٧] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٦، ص٩٣، الدار التونسية للنشر، تونس.

[٨] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣٤، دار الفكر، بيروت.
[٩] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٣١٨، دار الكتاب العربي، بيروت.
[١٠] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٣٠٨، الدار التونسية للنشر، تونس.
[١١] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص١٤٢، دار المعرفة، بيروت.
[١٢] الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص٢١١، دار السلام، القاهرة.
[١٣] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص٣٦٧، الدار التونسية للنشر.
[١٤] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٢٩، دار الشروق، القاهرة.
[١٥] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١٩٥، دار المعرفة.
[١٦] وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج١٥، ص١٨٠، دار الفكر المعاصر، بيروت.
[١٧] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٥٠، دار المعرفة، بيروت.
[١٨] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص١١٧، الدار التونسية للنشر.
[١٩] محمد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٢١٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
[٢٠] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢، ص١٢٠، دار الكتاب العربي.
[٢١] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص١٧٨، دار المعارف.
[٢٢] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٨٧، دار الفكر.
[٢٣] الفراهي، دلائل النظام، ص٢١٣، مجمع البحوث الإسلامية.
[٢٤] الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص١٣٢، دار القلم.

قائمة المصادر والمراجع

١.الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني . (١٩٩٢م). دلائل الإعجاز في علم المعاني (محمود محمد شاكر، تحقيق). جدة: دار المدني. (ط٣)

٢.ابن عاشور، محمد الطاهر . (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج٢). تونس: الدار التونسية للنشر.

٣.القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي. (١٩٦٧م). الجامع لأحكام القرآن (أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، تحقيق؛ ج٢). القاهرة: دار الكتب المصرية. (ط٢).

٤.الرازي، فخر الدين محمد الرازي. (٢٠٠٣م). التفسير الكبير (ج٥). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٨٧م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج١). بيروت: دار الكتاب العربي.

٦.الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني. (١٩٩٤). دلائل الإعجاز (محمد رشيد رضا، تحقيق). بيروت: دار المعرفة.

٧.ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج٦). تونس: الدار التونسية للنشر.

٨.السيوطي، جلال الدين السيوطي. (١٩٩٦م). الإتقان في علوم القرآن (ج٢). بيروت: دار الفكر.

٩.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٨٧م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج١). بيروت: دار الكتاب العربي.

١٠.ابن عاشور، محمد الطاهر . (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج٢). تونس: الدار التونسية للنشر.
١١.الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني. (١٩٧٨م). أسرار البلاغة. بيروت: دار المعرفة.
١٢.ابن عاشور، محمد الطاهر. (٢٠٠١م). مقاصد الشريعة الإسلامية. القاهرة: دار السلام.
١٣.ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج١٥). تونس: الدار التونسية للنشر.
١٤.قطب، سيد قطب. (١٩٨٠م). في ظلال القرآن (ج٤). القاهرة: دار الشروق.
١٥.الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. (٢٠٠٦م). البرهان في علوم القرآن (ج١). بيروت: دار المعرفة.
١٦.الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي. (١٩٩٨م). التفسير المنير (ج١٥). بيروت: دار الفكر المعاصر.
١٧.الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. (٢٠٠٦م). البرهان في علوم القرآن (ج١). بيروت: دار المعرفة.
١٨.ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج١٦). تونس: الدار التونسية للنشر.
١٩.الطباطبائي، محمد حسين الطباطبائي.. (١٩٨٣م). الميزان في تفسير القرآن (ج١٣). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٠.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٨٧م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج٢). بيروت: دار الكتاب العربي.
٢١.الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. (١٩٩٧م). إعجاز القرآن. القاهرة: دار المعارف.
٢٢.السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. (٢٠٠٦م). الإتقان في علوم القرآن (ج٢). بيروت: دار الفكر.
٢٣.الفراهي، حميد الدين عبد الحميد الفراهي. (١٩٦٨م). دلائل النظام. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.
٢٤.الرافعي، مصطفى صادق الرافعي. (١٩٤٠م). إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. القاهرة: دار القلم.

References

1)Al-Jurjani, A. Q. (1992). Dala'il al-I'jaz fi 'ilm al-Ma'ani [The proofs of miraculousness in the science of meanings] (M. M. Shaker, Ed.). Jeddah: Dar Al-Madini. (3rd ed.)
2)Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir [The liberation and illumination] (Vol. 2). Tunis: Tunisian Publishing House..
3)Al-Qurtubi, M. B. A. (1967). Al-Jami' li Ahkam al-Qur'an [The comprehensive book of Qur'an rulings] (A. Al-Barduni & I. Atfish, Eds.; Vol. 2). Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misriyya. (2nd ed.)
4)Al-Razi, F. (2003). Al-Tafsir al-Kabir [The great exegesis] (Vol. 5). Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.
5)Al-Zamakhshari, A. (1987). Al-Kashaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil [The uncovering of the realities and obscurities of revelation] (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
6)Al-Jurjani, A. Q. (1994). Dala'il al-I'jaz [The proofs of miraculousness] (M. Rida, Ed.). Beirut: Dar Al-Ma'arifa.

7)Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir [The liberation and illumination] (Vol. 6). Tunis: Tunisian Publishing House.
8)Al-Suyuti, J. A. (1996). Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an [Mastery in Qur'anic sciences] (Vol. 2). Beirut: Dar Al-Fikr.
9)Al-Zamakhshari, A. (1987). Al-Kashaf (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
10)Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir (Vol. 2). Tunis: Tunisian Publishing House.
11)Al-Jurjani, A. Q. (1978). Asrar al-Balagha [Secrets of eloquence]. Beirut: Dar Al-Ma'arifa.
12)Ibn Ashur, M. T. (2001). Maqasid al-Shari'a al-Islamiyya [Objectives of Islamic law]. Cairo: Dar Al-Salam.
13)Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir (Vol. 15). Tunis: Tunisian Publishing House.
14)Qutb, S. (1980). Fi Zilal al-Qur'an [In the shade of the Qur'an] (Vol. 4). Cairo: Dar Al-Shorouk.
15)Al-Zarkashi, A. (2006). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an [The proof in Qur'anic sciences] (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Ma'arifa.
16)Al-Zuhaili, W. (1998). Al-Tafsir al-Munir [The illuminating exegesis] (Vol. 15). Beirut: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir.
17)Al-Zarkashi, A. (2006). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Ma'arifa.
18)Ibn Ashur, M. T. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir (Vol. 16). Tunis: Tunisian Publishing House.
19)Al-Tabataba'i, M. (1983). Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an [The balance in Qur'anic interpretation] (Vol. 13). Beirut: Al-Alami Publishing.
20)Al-Zamakhshari, A. (1987). Al-Kashaf (Vol. 2). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
21)Al-Baqillani, A. (1997). Ijaz al-Qur'an [The miraculousness of the Qur'an]. Cairo: Dar Al-Ma'arif.
22)Al-Suyuti, J. A. (2006). Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an (Vol. 2). Beirut: Dar Al-Fikr.
23)Al-Farahi, A. (1968). Dala'il al-Nizam [Proofs of order]. Cairo: Majma' Al-Buhuth Al-Islamiyya.
24)Al-Rafi'i, A. (1940). Ijaz al-Qur'an wa al-Balagha al-Nabawiyya [The miraculousness of the Qur'an and prophetic eloquence]. Cairo: Dar Al-Qalam..